الفصل السادس

رؤية مستقبلية مقترحة للتوجه نحو التميز في التعليم الجامعي.

obeikandl.com

obeikandl.com

رؤية مستقبلية مقترحة للتوجه نحو التميز في التعليم الجامعي.

حاولت الدراسة الحالية لفت الانتباه إلى بعض القواعد الرأسمالية في تطبيق معايير عالمية على أوضاع محلية ونقلها من مجال رأس المال والصناعة والتجارة إلى مجال التعليم وخاصة التعليم الجامعي أي من ثقافة ذات طابع ربحي إلى ثقافة أكاديمية مغايرة. مما يدعو الباحثين والعلماء إلى نقد هذه المعايير وغرس روح العدالة الاجتماعية والإنصاف لخصوصية "التعليم" ووضع الجامعات ومقاومة السيطرة المعرفية واحتكار التميز وسبله تلك التي تقيد الابتكار والتفرد وذلك من وجهات نظر منهجية لاتخاذ قرارات مستنيرة في جميع أنحاء التدخلات التي تؤدي إلى الانتقاص من استقلالية الجامعة. ومن المتوقع أن هذا الأمر لن يحدث بشكل فوري لكنه يحتاج إلى الوعي بتلك الأمور وتسليط الضوء عليها والمضي قدما في التغيير وبناء جامعة وطنية متميزة بفكر أبنائها وأعمالهم الإبداعية من خلال تخطيط استراتيجي واع ، وواعد.

ويمكن للدراسة الحالية توضيح أبعاد الرؤية المستقبلية المقترحة في هذا الشأن كما يلي:

أولا: الفلسفة التي تستند إليها:

تكمن تلك الفلسفة في ترجمة القيم والمعايير الداعمة للتميز وتحقيق مؤشراتها لتطوير واقع التعليم الجامعي وذلك من خلال إحداث بعض التغييرات الجوهرية للاتجاه به نحو التميز، ومن منطلق خصوصية الثقافة الأكاديمية والتقاليد الجامعية والقناعات الفكرية للتعليم الجامعي كقاطرة التقدم في المجتمع المصري ، خاصة عندما يتميز مختلف جوانب الأداء به.

ثانيا: الأسس والمنطلقات:

1- التعليم الجامعي يستقرىء الماضي والحاضر والمستقبل في معالجته لكل القضايا المنوطة به.

2- الإنسان محور العمل والتعليم الجامعي وغايته.

3- الاهتمام بقضايا الثقافة والهوية من مرتكزات التوجه للتميز.

4- التواصل الإنساني وتأكيد أخلاقياته عنصر أساسي في إنجاح العمل الجامعي.

5- الوضع الراهن يتطلب بناء منهجيات جديدة للتفكير والنظر والتحليل والتفاعل.

6- تمكين شباب الجامعة من وضع سيناريوهات محتملة بشكل دائم لاحتمالات التغيير وكيفية مواجهتها ، يعد عنصر ضروري ومهم في بناء إنسان مؤمن بالتغيير وتعدد مساراته واحتمالاته ومن ثم ضرورة تعدد مهارات التعامل معه.

7- بناء العقلية العلمية المستقبلية أحد أهم دعائم التميز وهذا يلقي بمسئولية كبيرة على نوعية المناهج وأساليب التدريس ونوعية المهارات والخبرات التي تتوفر للمتعلم الجامعي.لذا فينبغي أن نبني المتعلمين على تصور طبيعة أدوارهم في المستقبل "ما ينبغي أن يكون عليه".

8- القيم والمعايير موجهات للسلوك البشري ، والعمل في إطار مرجعية معايير التميز في التعليم الجامعي توجه العمل به نحو التحسن النوعي في الأداء والتوجه نحو التميز.

obeikandl.com

9- الرغبة في التغيير والاتجاه نحو التميز أمر ضروري للتغلب على سلبيات الواقع المترد ، ومقاومة الاندثار أو التقهقر في ظل عالم سريع التغير وشديد التنافسية.

10- إصلاح التجاوزات المرتبطة بالإدارة الجامعية والأساتذة والطلاب ضرورة للتوجه صوب التميز.

11- الالتزام الخلقي والمساندة القيمية والمجتمعية أمر مهم في تميز الجامعات المصرية.

12- عودة أستاذ الجامعة إلى التزاماته العلمية والمهنية والبحثية أحد أهم أسس تحقيق التميز بالجامعات.

13- ترسيخ ثقافة الحوار الحضاري والاحترام المتبادل بين جميع أطراف العمل الجامعي عامل أساسي في خلق مناخ صحي للتميز.

ثالثا: الأهداف:

1- تأكيد مبدأ الاستقلالية والحرية الأكاديمية ، والابتكار بالجامعات المصرية كمعايير ومبادئ أساسية تعمل كضمان تحقيق المعايير الأخرى المطروحة بالدراسة.

2- ترسيخ المبادئ والقيم الأخلاقية الحميدة في إطار العمل الجامعى.

3- نشر ثقافة معايير التميز بين أفراد العمل الجامعي لتحقيق القناعة بها والعمل في ظلها.

4- التأكيد على دعم مراكز التميز العلمي والبحثي في كافة التخصصات العلمية.

obeikandi.com

5- تقديم خدمات متميزة للمجتمع المحلي والبيئة المحيطة.

6- تحقيق الرعاية العلمية المتميزة للطلاب والباحثين.

7- وضع آليات تنفيذية لتحقيق إكساب قيم التميز والعمل في ظل المعايير التي رصدتها الدراسة.

8- دعم جوانب القوة بالجامعات المصرية ، وتجاوز جوانب الضعف واقتناص الفرص المتاحة ، والحد من التهديدات الخارجية.

رابعا: الخطوات التي ترتكز عليها الرؤية المستقبلية:

1- تفكيك البنية التقليدية السائدة للتعليم الجامعي للتخلص من سلبياته.

2- تكثيف الجهود نحو البناء المادي/الفكري التربوي للجامعة في ظل معايير وقيم التميز.

3- التحرك بطرق علمية لتوظيف الثورة المعرفية/التكنولوجية بالجامعات المصرية.

4- الانطلاق صوب التميز في كل الأبعاد وجوانب التعليم الجامعي.

خامسا: أبعاد الرؤية المقترحة:

-البُعد الإنساني والقيمي: توجيه القدر المناسب من اهتمام الجامعة إلى التأكيد على الالتزام باحترام إنسانية الفرد وكرامته والإقرار بمركزيته في العملية التربوية ، دون تقليل مستوى الاهتمام بالجماعة أو السلوك التعاوني ، بترسيخ قيم التميز كاحترام العمل والالتزام بالإنتاج والمعرفة ، والإتقان ، والتنافس.

-البُعد الإنتاجي والتنموي: ويتمثل في تفعيل دور الجامعة في الإنماء المعرفي ورعاية البحث العلمي ، ومشاركة المجتمع قضاياه بالمناقشة والحوار وتقديم الحلول المناسبة.

-**البُعد الديمقراطي والاستقلالية**: ويتضح في طريقة صنع القرارات وفي النواحي المالية وفي الإمكانيات العلمية والفنية ، والتفاعل الخلاق بين أعضاء الجامعة وبين أقسامها.

- **البُعد العلمي البحثي ، والانفتاح الواعي على الجامعات الرائدة في مجالات التميز**:

بدعم البحث العلمي والاطلاع على تجارب الجامعات الأجنبية والعربية الناجحة ، والاستفادة من خبراتهم ، مما يدعم الإبداع ، والابتكار ، والتميز في الجامعات المصرية.

سادسا: متطلبات تحقيق الرؤية المستقبلية الداعمة للتميز الجامعي:

في ظل التحولات الكبيرة على المستوى العالمي والإقليمي والمحلي ، أضحى تميز الأداء الجامعي ضرورة وليس مجرد ترف فكري. ودون هذا التميز فإن الجامعات تعرض نفسها للتقهقر والاندثار. وقد وضع علي السلمي عدة متطلبات لتحقيق التميز هي (السلمي ، 2002 ، 26-27):

✓ "بناء استراتيجي متكامل يعبر عن التوجهات الرئيسة للمنظمة التعليمية ونظرتها المستقبلية ، ويضم الرؤية المستقبلية للمنظمة ، ورسالتها والأهداف الاستراتيجية التي تعمل على تحقيقها ، وكذلك آليات إعداد الخطط الاستراتيجية ومتابعتها.

✓ منظومة متكاملة من السياسات التي تحكم وتنظم عمل المؤسسة التعليمية وترشد القائمين بمسئوليات الأداء إلى قواعد وأسس إتخاذ القرارات.

✓ هياكل تنظيمية مرنة ومتناسبة مع متطلبات الأداء وقابله للتعديل مع المتغيرات الداخلية والخارجية.

✓ نظم متطورة لدعم القرارات.

✓ نظام متطور لإدارة الموارد البشرية ، يبين آليات تخطيط الموارد البشرية واستقطابها وتنميتها.

✓ نظام لإدارة الأداء ، يتضمن قواعد وآليات تحديد الأعمال المطلوبة لتنفيذ عمليات الجامعة ، وأسس تخطيط الأداء المستهدف وتحديد معدلاته ومستوياته وقواعد توجيه ومتابعة الأداء وتقديم النتائج.

✓ نظام متكامل لتقييم الأداء الفردي وأداء المجموعات وفرق العمل والوحدات والأقسام.

✓ قيادة فعالة توفر مقومات التنفيذ السليم للخطط والبرامج ، وتؤكد فرص المؤسسة في تميز الأداء وتحقيق التميز التنافسي". ويرى البحث الحالي أنها تتطلب أيضا:

- تحديد مدى فعالية وكفاءة القدرة التنافسية لمؤسسة كالجامعة في نجاح ما تقدمه من خدمات ومن عمليات تعليمية وتربوية من خلال اختيار الطلاب بتوفر شروط معينة للقبول ...والأساتذة المبدعين في أداء مهام وظائفهم ؛ وإعدادهم للتعامل مع التكنولوجيا الحديثة وتقديم كل ما هو جديد وإثابة الأداء المتميز.
- تعميق الإحساس بمسؤولية الجامعة المؤسسية تجاه المجتمع ، والتي تدفعها دائما لتحقيق خدمة مجتمعية عالية الجودة ومتميزة.
- الإدارة والقيادة بالقيم كما تتطلبه اللحظة الراهنة ويقدمها العالم الآن.

تأسيسًا على ما سبق ، يتبين أن الإتقان وجودة الأداء في ظل التقاليد الفكرية والابتكارية ، والثقافة الأكاديمية للجامعة ، والعمل في إطار معايير التميز ، تعد

المفاهيم الأساسية والقناعات التي يرتكز عليها تحقيق التميز في التعليم الجامعي المصري. كما يتبين أن العنصر البشري أهم الموارد الحاكمة في تفعيل عمليات التغيير الموجه نحو التميز.

ويرى العمل الحالي أن من المتطلبات المهمة أيضًا هو تبني الجامعات نموذج وطني للتمييز والذي قد يفيد من ايجابيات النماذج المطروحة للتميز سواء نموذج مالكولم بالدريج للجودة (الأمريكي) أو النموذج الأوروبى أو غيرها من نماذج[4] إلا أنه يتوجب عليها الوعي بأن أحد أهم العناصر المهمة في تحقيق التميز وتمثل جوهره هو وضع خصوصية الثقافة والهوية العربية في الاعتبار كإطار فكري فلسفي قيمي يوجه عملها بشكل عام ، وخصوصية الثقافة الأكاديمية للجامعات المصرية بشكل خاص.

سابعا: آليات تحقيق الرؤية المستقبلية:

1- إحداث تغييرات إيجابية في مدخلات وعمليات العملية التربوية والتعليمية للوصول لكفاءة ونوعية أعلى: في نظم القبول . طرائق التدريس . الوسائل . التمويل . السياسة التعليمية. رفع القدرة الاستيعابية للتعليم الجامعي . إنشاء كليات جديدة. الاهتمام بإعداد الهيئة المعاونة . تطوير أساليب اختيار الأستاذ الجامعي . امتلاك القدرة على التعامل مع التكنولوجيا الحديثة . نشر ثقافة تقبل الآخر . الاهتمام والرعاية العلمية المتميزة لأعضاء هيئة التدريس والطلاب . الاهتمام بالبعثات الخارجية.

4 -*Bardri, M. A. (2006). The Baldrige Education Criteria. International Journal of Quality. V(23). 9. 1118. & Capabilities for sustainable competitive advantage (2005). An Empirical analysis from Indian global organization.Education tranning.V (l).47. 8/9.623.*

2- **نشر ثقافة العلم والتميز** والإبداع والوعي بضرورتهم لإحداث نهضة حقيقية في المجتمع المصري. لبناء إنسان قادر على التعامل مع مستجدات المجتمع المعاصر. ولن يستطيع التعليم الجامعي ذلك دون تمكنه من قيم التميز واستيعاب مفاهيمها والقناعة بها والعمل في إطارها ومن ثم امتلاك أدوات العصر دون أن يفقد هويته أو يمس خصوصيته الثقافية كمتطلبات للتميز.

3- **بالنسبة للبحث العلمي:**

إقامة وحدات بحثية تكون مهمتها متابعة تنفيذ استراتيجية الجامعة نحو التميز، وخلق الآليات التنفيذية المتطورة بمرور الوقت لإكساب قيم التميز وإحداث التغييرات المنشودة ومراقبة حدوثها في كافة أنحاء العمل بالجامعة.

4- **تطويع عقلية الجامعة في مواجهة التغيير:**

حددت **لطيفة عايش** الوسائل والطرق التي تستخدمها التربية لمواجهة التغيير بثلاث طرق مترابطة ومتداخلة (عايش، 2002، 213-214):

- ✓ معالجة التغيير الثوري في الميدان الاجتماعي، والصناعي، والسياسي وفي ميدان التوجيه الروحي والفلسفي، وميدان التكوين الخلقي والنشاط الثقافي (شمولية المواجهة) في آن واحد.
- ✓ أن تتحول الجامعات نفسها إلى طاقة للتغيير والتجديد والانطلاق بأن تكون هي قاعدة هذا الانطلاق بحكم مكانها ودورها التاريخي. والسبيل إلى ذلك تربية جديدة تستمد مقوماتها وأهدافها من استراتيجياتنا الجديدة التي أساسها الإيمان بالتغيير والأخذ بأسباب التجديد القائم على العلم والديمقراطية والوحدة.

- ✓ أن تنصب التربية على طاقات التغيير والتجديد والانطلاق عند الأفراد ، حيث يتحدد عملها ومدى فعلها في التغيير الثوري المرغوب فيه على جميع المستويات ذلك أن مصدر التغيير لا يوجد في الأنظمة والقوانين بقدر ما يوجد في الأفراد فعليهم يقع عبء التغيير والتغيير في السلوك والعلاقات بالآخرين. حيث تشتق التربية مسئوليتها الخطيرة في مجتمعنا الثوري من كون أن القوة البشرية فيه ثروة الأمة في تناولها للتغيير.
- ✓ العصر الجديد الذي يعبر فيه التغيير عن نفسه بمعنى جديد يتطلب نوعًا جديدًا من التربية لا يقوم على إضافة مواد جديدة أو أساليب جديدة ، وإنما يقوم على نظرة تربوية جديدة شاملة ، إننا في حاجة إلى تربية تتحول إلى قوة فاعلة في إحداث التغيير وتوجيهه وضبطه.

5- دور الجامعة في الرعاية العلمية المتميزة لأبنائها:

تمثل المعرفة الطاقة الأساسية في أي نوع من التنمية ويعتبر نقص المعرفة معوق لعملية التنمية. وقد نشر الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (*UNDP*) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2003 بعنوان "نحو إقامة مجتمع المعرفة" الذي يرتكز حول سبل تجاوز معوق نقص المعرفة الذي يعترض طريق التنمية الإنسانية العربية. ولأن مجتمع المعرفة مرتبط أشد الارتباط باقتصاديات المعرفة باعتباره مصدرا مهما لثروات الأمم اليوم ، فإن تنمية الرأسمال البشري يعتبر مطمح الأمم. لذلك يعد رعاية الإبداع وترقيته من بين المتطلبات الحالية للمجتمعات المتطورة. وهذا يتطلب إقامة

المنافسات العلمية والبحثية والثقافية وغيرها بين الطلاب وتقديم والحوافز المادية والمعنوية للمتميزين منهم ، وترغيب الآخرين في التميز.

إن مخزون الأمة من العقول المبدعة هو نقطة البداية لوضع الثقافة الأم في موضع التكافؤ والندية وإمتلاك إرادة التغيير والتفاعل من موقف القوي وليس الضعيف. إذ أن ثورة المعرفة والاتصالات وما يترتب عليهما هو إنجاز عقول مبدعة في الأساس ، وأعمال إنسانية يسهم فيها التراكم المعرفي عبر التاريخ وعبر تناوب الحضارات. لذا فالثقة في الذات الفاعلة المبدعة أمر غاية في الأهمية لإقامة مجتمع تعلم في السياق الثقافي العربي والوطني ، وفي ظل التواصل والانفتاح الواعي على الآخر.

6- دعم الجامعة لقيم ومعايير التميز في مجتمع التعلم واستنهاض الهوية الثقافية والحس الوطني وتحقيق الأمن الثقافي:

تعبر الآليات اللازمة لتفعيل أي مشروع في أي مجال مجتمعي عن مرحلة جيدة لتجاوز الأزمات المجتمعية التي يعاني منها المجتمع ، تلك الأزمات التي قد تنشأ في حالة توافر الأطر النظرية ، والفكرية دون الوصول إلى تفعيل تلك الأطر على أرض الواقع. من هنا فإن امتلاك الجامعة لآليات تفعيل القيم الداعمة للتميز وثقافته أمر غاية في الأهمية لمحاولة تهيئة المجتمع لتلك القيم ثم استيعابه للمتغيرات من حوله وفهمه لأبعادها. من ثم إحداث حالة من تقبل التغيير والرغبة في التقدم والتميز ، والتفاعل الجيد معه لصالح الذات الوطنية ودعمها. في ذات الوقت فتح قنوات للتواصل الخلاق مع الثقافات الأخرى بوعي نقدي، ورؤى مبدعة. ومن هذه الآليات:

✓ مقاومة الاغتراب اللغوي بالانتماء إلى اللغة العربية قلبا وقالبا ، وتعظيم حجم ومساحة اللغة العربية في جميع المراحل التعليمية ، حتى المرحلة الجامعية وجعل الإتقان فيها والتحدث الصحيح بها (الفصحى) من الشروط الأساسية للتميز وهذا على المستوى الرسمي.

✓ أما على المستوى غير الرسمي ، مشاركة الدولة في مسئولية دعم اللغة الأم وحمايتها والمالكين لسلطة الإعلام بجميع وسائله نشر ثقافة اللغة وتذوق مفرداتها بنشر أدابها. مما يكون لدى الفرد منذ الصغر منعة لغوية والتي تعني منعة قيمية وفكرية وثقافية ، إذ أن اللغة فكر.

✓ صناعة مجتمع تعلم يراعي الخصوصية الثقافية وحسابات الهوية.

✓ مراجعة منظومة القيم استنادا إلى أخلاقيات وثوابت الثقافة.

✓ رأب الفجوة البحثية والمعرفية.

✓ نشر الثقافة العلمية والوعي بالمفاهيم المستجدة مثل: تكنولوجيا النانو وتطورات البيولوجيا الجزيئية وغيرها من علوم حديثة ، وما يرتبط بها من أخلاقيات . الوعي بالعلاقة بين العلم والتكنولوجيا والمجتمع.

✓ تطوير نظم المعرفة واستخدام منهجيات معالجة حديثة تتناسب مع معطيات ومستجدات مجتمع المعرفة ، في إطار التغييرات العلمية والمعرفية المتجددة. وتسعى الجامعة المتميزة إلى إنتاج صيغ تعليمية مناسبة يمكن من خلالها تمكين الطالب من مفاتيح المعرفة ، وتزويده بقاعدة عريضة ومتجددة من

المعارف والخبرات التي تيسر له الانتقال بسهولة بين أنواع التعليم والتخصصات أو المزاوجة بين التعليم والعمل ، وتنمية قدراته أكاديميا ومهنيا وثقافيا.

ثامنا: ضمانات تحقيق معايير التميز في التعليم الجامعي من خلال الرؤية المقترحة:

حتى يكون التقييم موجه نحو التميز يجب مراعاة عدة أمور تعمل كضمانات لتحقيق الرؤية المقترحة منها:

✓ مشاركات واسعة وذات تأثير من مختلف المجموعات المكونة للجامعة ، أي هيئة التدريس والإداريين ، والمسئولين عن شؤون الطلاب ، والطلاب أنفسهم.

✓ التغذية المرتدة المستمرة ، والمساندة القوية من الإدارة الجامعية للبرامج المقدمة.

✓ تجنب التجزئة والتشرذم ، حيث يزدهر التميز في بيئة تهدم فيها جدران التجزئة" (بيرفوت وآخرون ، 2006 ، 576). بمعنى تجنب الصدام والصراع القيمي خاصة بين النسق القيمي العام والنسق القيمي الخاص .

الأول يخص كل أفراد المجتمع ويتطلب تأكيده لتكوين وعي جمعي وتماسك اجتماعي.

الثاني يمثل طبقة اجتماعية أو مؤسسة (الجامعة) أو مهنة داخل المجتمع يجب مراعاته.

وهذان النسقان في إطار نسق قيمي أكثر اتساعا نسق قيمي إنساني . يسمح للإنسان التعامل والتواصل "بأخلاق التواصل الإنساني" لإحداث حالة حوار إنساني ثقافي انفتاحي ناجح.

obeikandl.com

✓ التأكيد على أن معايير التميز المطروحة بالدراسة تمثل ثوابت نسبية مشتركة بين أفراد المؤسسة الجامعية ، بمعنى تكوين توافق عام حولها ، لكن هناك أيضا مرونة وقدرة على التغيير والتطوير بما يقتضيه مستجدات الأمور ، شريطة أن يكون التغيير متجه نحو التميز.

✓ تأكيد دور الجامعة القيمي ، ويتضح ذلك من خلال مهامها البحثية والمعرفية والإنمائية والخدمية وارتكازها على معايير التميز في كافة جوانب العمل بها.

✓ استقبال أفضل للأفكار الجديدة ، فيرى **بيرفوت** من خلال تحليله لثلاثة عشر مؤسسة للتميز أن محاولة إدخال شيء جديد في العمل الجامعي لا يعني أن المؤسسة ستعيش مع هذه المحاولة إلى الأبد. فالمحاولة إذا نجحت يصبح لها وضع مؤسسي أما إذا فشلت فإنها تلغى. هذا مع ضرورة عدم توجيه اللوم إلى من يقوم بالمحاولة في حالة الفشل (بيرفوت وآخرون ، 2006 ، 565).

✓ وضوح هوية المؤسسة الجامعية ، ورسالتها.

✓ ضرورة أن تعمل الجامعة كمؤسسة تميز بتوفير قاعدة بيانات تتضمن تدوين مسارها في التغيير والتوجه نحو التميز كالمعلومات الأساسية عن المؤسسة – وتاريخها التطوري العادي والثوري- الأساس المنطقي للجامعة وفلسفتها أي إطارها المرجعي الذي على أساسه تتخذ قراراتها ، ومدى ارتباطه برسالتها- نمط القيادة لديها ، هل هي قيادة صامدة مبتكرة ديمقراطية؟ وكيف تنظر للمستقبل وأهم تحدياته لديها ، وأهم خططها المستقبلية ، وأدواتها في تقييم الطلاب ، وسبل التمويل غير الحكومي، وما مدى تركيزها على الطلاب ومدى احترامها لأعضاء هيئة التدريس بها؟.